

خطبة

رحلة الإسراء والمعراج ومكانة النبي ﷺ

(٢١ رجب ١٤٤٢ هـ)

فضيلة الشيخ

أبي عبد الله صلاح بن محمد غانم

(رحمه الله)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا
هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -.

• أَمَّا بَعْدُ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا

وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران ١٠٢]

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ
وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً
وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ
رَقِيبًا ﴾ [النساء ١]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ
لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب ٧١]

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ -صلى الله
عليه وعلى آله وسلم-، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ
بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

• أَمَّا بَعْدُ:

فإن المرء حينما ينظر في واقعه وفي واقع الناس من حوله يأسف لذلك
الأسف العظيم ويحزن على هذا الحزن الجسيم....

وذلك لما وصل إليه الناس من تعاهد الأبدان وتضييع الأديان، حتى إن
الرجل ليُضيع دينه ليل نهار ولا يؤثر ذلك فيه من لا يشعر به ويمر الأمر
هكذا!!! فإننا لله وإنا إليه راجعون، ويسروا في ذلك أن الناس قامت
على أبدانهم حتى عميت القلوب عن أديانهم وعميت البصائر عما يُراد
بهم فإننا لله وإنا إليه راجعون!!!

وإن حادثة الأسراء والمعراج مَعْلَمًا من المعالم التي ينبغي على الأمة أن
تقف أمامها لتنهل من دروسها وعِظاتها وعبرها.

إن قصة الإسراء والمعراج، وحادثة الإسراء والمعراج تحتاج إلى وقفة من
كل مسلم ليرى ما الذي وصل به البدن؟ وما الذي وصلت إليه الروح؟.

لقد كان بدن النبي ﷺ في صورته من اللحم والدم والعظم كأي بدن في بيئته، ولكن لم تكن صورة النبي ﷺ الباطنة كصورة البواطن التي كانت من حوله، لذا فانظر إلى ماله ومآل غيره، انظر إلى النبي ﷺ لما سلم له قلبه عظم قدره وعلا شأنه وكثر فضله.

فإن الله رب العالمين ما أسرى بنبيكم ﷺ إلا لما أسرى النبي ﷺ بروحه أولاً، فكان في مكة يتطلع إلى أن تُحول القبلة إلى المسجد الأقصى، فكان قلبه وروحه يهفوان إلى المسجد الأقصى قبل أن يُسرى ببدنه إليك، وكان نبيكم ﷺ يتطلع إلى السماء يرغب فيها الهداية والتوفيق والنصر والتأييد!!!

فانظر كيف رفع البدن برفع الروح ؟ كيف رُفع البدن على أثر حال الروح؟ فرفع بدن النبي ﷺ إلى الملاء الأعلى إلى مصاف أنبياء الله رب العالمين إلى موضع صريف الأقلام إلى موضع تنزل أمر ذي الجلال والإكرام فأين قلبك؟؟

وأين نفسك؟؟

وأين روحك؟؟

وأين عقلك؟؟

وأين ضميرك في طعامك؟؟

في شرابك؟؟

في غطائك؟؟

في منكحك؟؟

في ملبسك؟؟

هذا هو قدرك ولن تعلو عليه أن ترتفع إلى السماء، ولن يعرج بروحك

إليه طالما هذا حالك!! وهذا شأنك!!

لأن الله رب العالمين خلق الإنسان من جسد وروح فجاء الجسد من
قبضة أرضية من الأرض، وجاءت الروح من نفخة علوية في السماء!!
ولا يزال الصراع قائمًا بين الروح والجسد....

الجسد يريد أن يأخذ الروح إلى الأرض!! والروح تريد أن تأخذ الجسد
إلى السماء!! فأيهما غلب صار الأمر إليه.

إذا غلبت حاجات الجسد على حاجات الروح فاعلم أن الأبعد صار
عبدًا شهوانيًا، صار عبدًا أرضيًا، صار عبدًا طينياً، ومن كان هذا مقامه
فلا يسأل عن شأنه وحاله!! فحاله إلى الأرض التي تعلق بها.

وأما من علت همته وسلمت له نفسه وطويته فارتقى بالبدن إلى حيث
جاءت الروح إلى السماء إلى الله رب العالمين!! إلى إرادة أن يكون من
أوليائه الصالحين، وأن يكون رفيق الأنبياء والصديقين والشهداء

والصالحين في جنات الله رب العالمين، فهذا لا يرضى بالدون ولا يرضى بالهوان، ولا يرضى أن يُعبّد بشيء من الأرض مهما كان.

الإسراء والمعراج يبين لنا ربنا تبارك وتعالى فيه حال من قام على بدنه، وحال من قام على قلبه ونفسه، فإن المرء لو صار من أغنى الأغنياء! وصار من أقوى الأقوياء! وصار من أعظم الرؤساء والقادة في دنيا الله رب العالمين! أقصى ما يصل إليه أن يسكن في ناطحة من نواطحي السماء، وأن يرتفع بطائراته في الفضاء هذا أقصى ما يصل إليه، وأما أن يخرج من المحيط الأرضي فلا.... لا يستطيع ولا يقدر على ذلك.

ولكن نبيكم ﷺ وصل إلى سدرة المنتهى عندها جنة المأوى، وصل إليها بروحه! وصل إليها بقلبه! وصل إليها بضميره! وصل إليها بدينه! والعالم منذ أن خلقه الله رب العالمين يسعى من أجل أن يخرج من الإطار الأرضي فيقولون: إنهم قد صعدوا إلى القمر وهذا آخر ما وصلوا إليه، وأما أن يخرجوا من ذلك الفضاء لا يقدر ولا يستطيعون....

ولكن المؤمن بإيمانه يرقى إلى الله رب العالمين في صباحه وفي مساءه، وفي ذكره وفي دعائه وفي قيامه، يرقى إلى الله تبارك وتعالى بأعماله.

وقد أخبرنا نبينا ﷺ أن أعمال المرء تُعرض على الله في اليوم مرتين: في صلاة العصر وفي صلاة الفجر، تصعد ملائكة الله إلى الله بأعمال أحوال صالحة، بأعمال أقوال فاضلة، بأعمال أشخاص بالإيمان متمسكة، هؤلاء الذين يُرفع ذكرهم، هؤلاء الذين يعلوا عند الله قدرهم.....

وأما ما دونكم فهم مع شهواتهم!! فهم مع فروجهم!! فهم مع أموالهم!! فهم مع تجاراتهم!! ولن تغني عنهم شيئاً مهما كثرت ومهما عظمت، فما الذي يأكله؟ هل يأكل في معدتين؟! أو ينام على سريرين؟! أو يتزوج وينكح في آن واحد امرأتين؟! إنما هي معدته واحدة، وجزء في سرير، وقضاء وتر حينما يفرغ الرجل ما فيه يصبح جثة هامدة، فما أقصى ما يصل إليه الإنسان ببدنه.

وأما حين يقوم المرء على روحه فهو في عروج إلى الله رب العالمين في سجوده وفي ركوعه، وفي إخبائه وفي إنابته يباهي الله رب العالمين به ملائكته!!!! انظروا إلى عبدي المؤمن في خشوعه!! انظروا إلى عبدي المؤمن في انفاقه!! انظروا إلى عبد المؤمن في ثباته وصبره!!.

نبىكم ﷺ لما أراد الله رب العالمين أن يُسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ويعرج بروحه من الأرض إلى السماء نزل جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ فشق صدره -من صدره إلى منتهى بطنه- فأخرج قلبه "وقلبه قلبه" ﷺ "وفؤاده فؤاده" أظهر قلوب خلقت ووجدت على ظهر الأرض، ومع ذلك يجدد الله رب العالمين له الصفاء ونقاءه من أجل ماذا؟ من أجل أن يُمازج البيئة والمجتمع الذي سيرقى إليه بين يدي الملائكة وبين يدي الله رب العالمين وفي هذا مَعْلَم وملمح (أن المرء لن يصل إلى المعالي، لن يصل إلى الفضائل إلا على جناح سلامة قلبه)،

فإن أصحاب القلوب السليمة هم أصحاب المواقع الرفيعة هم أصحاب
المناقب العالية

أصحاب القلوب السليمة لا تخرج منهم إلا أعمال عظيمة....

أصحاب القلوب السليمة لا تصدر منهم إلا أقوال فاضلة، لا يصاحبون
ولا يصادقون إلا أنفس فاضلة طاهرة.

وهكذا كان نبيكم ﷺ من كان حوله من الذي كان حول رسول الله؟
خير خلق الله بعد الأنبياء فكلما طهر قلبك طهر مجتمعك

كلما طهر قلبك تغيرت صداقتك

كلما طهر قلبك تحولت أقوالك وأفعالك

وإما أن يظل المرء على حاله إلى تغير في أقواله وأفعاله وأحواله فهذا
يخادع نفسه ، قال تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ

وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا
وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ [البقرة ٩].

إن القلب إذا سلّم سلمت له عقيدته، وسلمت له مبادئه، وثبت ثبات
الجبال الشم الراسيات.

لما أُسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى أتت إليه ریح طيبة فقال: يا
جبریل ریح من هذه ؟ فقال: إنها ریح ماشطة ابنة فرعون، فقال النبي
ﷺ: وما شأنها يا أخي يا جبریل ؟ فقال له: كانت تقوم على أمر ابنة
فرعون تمشط لها شعرها فوق المشط فقالت: بسم الله، قالت ابنة فرعون:
أبي، قالت: لا، الله ربي وربك، فقالت ألك رب غير أبي؟ قالت: نعم،
قالت: أخبر أبي بذاك ؟ قالت: أخبريه، فأخبرت البنت أباه، فأتى
بتلك الماشطة فقال: أحقا ما سمعت، ألك رب غيري ؟ قالت: ربي
وربك الله، فأمر ببقرة من نحاس وهي - الإناء العظيم الذي يملأ بالزيت

- وأوقد عليه وأتى بأبنائها فأمر بهم واحد تلو الواحد حتى لم يبق من أولادها إلا رضيع فرقت له وأرادت أن ترحمه، فقال لها: يا أماه اثبي على ما أنت عليه فعذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، فقالت لفرعون: أريد أمرا وآخر ما أريده، قال: وما هو؟ قالت: أن تجمع عظامي وعظام أبنائي وتجعلها في قبر واحد، فقال: لك ما تريد، ثم أمر به فألقى بها في تلك البقرة العظيمة، ماتت المرأة وذهبت ولكن انظر إلى أثرها، انظر إلى شأن إيمانها، انظر إلى عظم قدرها، يبقى أثرها ريح طيب يشمه النبي ﷺ ويحكى إلى قيام الساعة.

هؤلاء هم الذين كانوا يقومون على الأديان وبالأديان، وأما أنا وأنت فإننا لله وإنا إليه راجعون!!!! تضع أدياننا عند أول فتنة، عند أول شهوة، عند أول بلية، تضع أدياننا أمام الدينار والدرهم!! تضع أدياننا أمام الشهوات والشبهات!! تضع أدياننا أمام الفتن والملذات.

فالرجل ما ينبغي عليه في هذا الموقف في هذا الشأن من التمسك
بكتاب الله وسنة رسول ولكن القلوب إذا عميت، ولكن النفوس إذا
فسدت فحدث ولا حرج.

فيا عباد الله إن الإسرائء والمعراج يحكي لنا قصة جيل ثبت على الحق
فرفع الله قدره وأظهر الله أمره وأعلى الله شأنه، وأما الأجيال التي بمبعدة
عن الحق فأنت ترى وأنت خير ما صارت إليه من تشرزم وخلاف، إلى
تهافت على الفتن والملذات، إلى تعارك وتخاصم وتقاتل وتشاحن حتى
بين الرجل وامرأته، والوالد وولده، والصاحب وصاحبه، وصارت بيوت
الله رب العالمين مرتعا خصبا للفتن والإحـن.

وعليك أن تعلم أن الذي صرنا إليه هو الذي كنا قبل غلق المساجد
عليه، الذي صرنا إليه هو الذي كنا قبل إغلاق المساجد عليه كانت
أبداننا متلاصقة وقلوبنا متنافرة، كنا في المساجد يأكل بعضنا بعضا
ويعادي بعضنا بعضا ويمكر بعضنا ببعض، فغار الله على بيوته غار الله

على بيته الحرام فطردنا منها طردا وأخرجنا منها إخراجا ، ولن يعود الناس إلى بيت الله حاجين معتمرين، لن يعود الناس إلى المساجد آمنين مطمئنين حتى تستوي نفوسهم ، وتصلح قلوبهم، وتثبت على الحق في أقوالهم وأفعالهم.

اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أما بعد.....

فان المحن أرحام المنح، وإن البلايا يخرج منها العطايا وقبل الإسراء والمعراج كانت المواجهة على أشدها بين النبي ﷺ وبين أعدائه ، كانت المواجهة على أشدها بين الذين اعتنقوا هذا الدين وصاروا على صراطه المستقيم وبين الكافرين الفاجرين الذين قست قلوبهم عن تلقي دين الله

رب العالمين، وعظمت نفوسهم أن تخضع لمتابعة النبي الأمين فأوذى
النبي ﷺ أيما إذاء، فكان يؤتى بسلا الجزور وهو - ما يخرج من بطن
الناقة - يوضع على النبي ﷺ وهو يصلي، ويأتي الرجل العيج من هؤلاء
الكفرة يمسك بالنبي ﷺ يخنقه حتى تكاد روح النبي ﷺ أن تخرج
ويتناولون على النبي ﷺ بالشتم والسفه حتى ضاقت به مكة شرفها الله
رب العالمين، فخرج النبي ﷺ إلى الطائف يدعو الناس إلى الحق الذي
هؤدي إليه فوجد معاندة أشد ما تكون حتى جمعوا له الغلمان صفين لا
يرفع النبي ﷺ قدم إلا وقد صوب إليها حجر، وما ينزل النبي ﷺ قدما
إلا وقد صوبا إليها حجر حتى دميت قدم النبي ﷺ، وآيس منهم ومن
إيمانهم، فبينما النبي ﷺ يعود إلى مكة مرة أخرى ينزل عليه ملك الجبال
فيقول: إن الله رب العالمين أمرني أن أخيرك أن أفعل ما تشاء وإن أمرتني
أطبقت عليهم الأخشبين - وهما جبلان عظيمان حول مكة - ولكن
انظر إلى القلب السليم، انظر إلى النفس العفيفة الشريفة، لا يقابل

الإساءة بالإساءة، ولا العداء بالعداء، ولا المكر بالمكر، ولا الخيانة بالخيانة، فإنما يقول: بل استأني بهم اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون.
في هذا الموقف يدعو النبي ﷺ لهؤلاء، هكذا القلوب السليمة لا يخرج منها إلا أحوال شريفة.

وأما أصحاب القلوب الفاسدة المريضة تُحسن إليه ويسيء إليك، تكون معه أميناً ويكون معك خائناً، تكون معه صافياً ويكون بك ماكراً.

افعلوا ما شئتم فإن الله رب العالمين لا يترك عبده...

افعلوا ما شئتم فإن الله رب العالمين ماكر بالماكرين....

افعلوا ما شئتم فإن الله رب العالمين يؤيد عباده الصالحين.

فتأتي المنحة بعد المحنة يقول الله رب العالمين لنبیه: إنك لست بمبعدة عنا وإننا لنعلم قدرك وفضلك وشرفك.

إن كانت الأرض قد لفظت فما هي السماء تستقبلك!!

إن كانت الأرض قد أهانتك فما هي السماء تكرمك!!

إن كانت الأرض لم تعرف قدرك ففي السماء ستعرف أين وكيف عند
الله قدرك!!!

فيا عبد الله لا تكن ماکراً أمام ماکرین، ولا تكن خائناً أمام خائنین،
ولا تكن فاسقاً أمام فاسقین، لأن الله یراک ویراهم، وقبل أن تسعى إلى
أن تفیض ما فی قلبک وضمیرک فاعلم أن الله عز وجل یعلم ما فی النفس
وما تخفی الصدور والقلوب، ولیطلعن الله رب العالمین علی مکر فی
قلبك ولا علی غش، وفوض أمرک إلى الله « اللهم إني اشکو إلیک
ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني علی الناس، اللهم أنت رب المستضعفین
وأنت ربی إلى ما تکلني إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملکته أمری،
اللهم إن لم یکن بک غضب علی فلا أبالي ولكن عافیتک أوسع لی»
هكذا ینبغي علی المرء أن یكون عند الفتن والابتلاءات یراعي نظر رب
الأرض والسموات.

لا تفرغن غيظا يجعلك مساويا لمن أرداك، لا تفرغن كيذا يجعلك مماثلا لمن كاد إليك، ولكن اظهر سلامة قلبك لربك!! اظهر عفة نفسك لمولاك، فإن الله رب العالمين ينصرك، والله رب العالمين يؤيدك، والله رب العالمين يكرمك ويشرفك، وهكذا كان الأمر مع رسول الله ﷺ .

الكفار مكروا به وأصحاب الديانات اعرضوا عنه، وأصحاب الرياسات استخدموا رئاساتهم للصد عن سبيله، فيرتفع النبي ﷺ إلى السماء ليجد الأنبياء جميعًا يدينون له بالولاء، يدينون له بالتأييد والنصرة فيصلي بهم إماما في المسجد الأقصى، ثم يلقاهم في الجنة يلقى أنبياء الله رب العالمين

﴿ قُلْ كُلُّ يَعْمَلْ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾ [الإسراء ٨٤]

نبيكم ﷺ هذه شاكلته، نقاء القلب وصفاء النفس وصحة المعتقد مع

من يكون مع السافلين ؟

مع من يكون مع الخائنين ؟

مع من يكون مع الماكرين؟ لا ، وإنما يكون مع أنبياء الله رب العالمين.

امكر يا أبا الحكم امكر يا أبي ابن خلف.... وامكر يا فلان

ولكن ﴿وَيَمْكُرُونَ﴾ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ

الْمَاكِرِينَ ﴿[الأنفال ٣٠].

فيأتي الإسراء والمعراج ليعلم النبي ﷺ أنه على الحق وأنه قائم على الصدق، وأن مقامه رفيع، وأن شأنه شريف.

فيا عباد الله قوموا على أديانكم ودعواكم من أبدانكم، ماذا فعلت بكم الأبدان؟ أو غيرت مجتمعاتكم، هل أسعدت قلوبكم؟ هل ربت أبنائكم؟ هل أصلحت زوجاتكم؟ ما زلنا نقوم على الأبدان حتى فسد المجتمع، مجتمع كئيب مجتمع لولا أن الله رب العالمين لا يرضى لعبده أن يخرج من الحياة إلا بقدره وأذنه ما طابت هذه الحياة أن تكون حياة.

حياة عفنة ! حياة قذرة بأهلها ! حياة عفنة بأفعال أهلها ! حياة ينبغي علينا أن نخرج منها أن نغيرهم من أجل ابنائنا .

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء ٩]

اللهم اصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، واصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، واصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا.

اللهم اجعل الحياة زيادة لنا من كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر.

اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا.

اللهم اقمنا على أدياننا، اللهم اصلح فساد قلوبنا.

اللهم اجعلنا على هدي نبينا وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد صلى الله
عليه وعلى آله وسلم.